

البناء الاستعاري بين قيود اللغة وضرورات التداول

قراءة لسانية معرفية

The construction of metaphor between linguistic limits and pragmatic necessity A linguistic cognitive reading

د . كمال بخوش¹

تاريخ النشر: 2022 / 05 / 01	تاريخ القبول: 2022 / 03 / 29	تاريخ الإرسال: 2021 / 12 / 25
-----------------------------	------------------------------	-------------------------------

ملخص:

لقد انتهى البحث اللساني التداولي في السنوات الأخيرة إلى توجيه الاهتمام نحو المقاربة المعرفية للغة والتي ركزت البحث حول مسألة الذهن بما هو مركز لبناء التصورات الدالة، وهو ما مكن من تجاوز تفسير الأنساق الخطابية المألوفة إلى الأنساق الخطابية غير المألوفة التي نجدها - غالبا - ما تستند إلى البناء التخيلي بخلق أبنية دالة لا صورية، ومن بين هذه الأبنية اللاصورية نجد البناء الاستعاري، الذي سنحاول مقارنته في هذا البحث من الزاوية المعرفية، ومركزين على دوره التبليغي التواصل. فما هو البناء الاستعاري من المنظور اللساني المعرفي؟ وما حدوده الإنجازية كمقولة لا صورية؟ كلمات مفتاحية: لغة، خطاب، استعارة، لسانيات تداولية، لسانيات معرفية.

Abstract :

In recent years, research in pragmatics has turned attention to the cognitive approach which focused on the mind being the center of building meaningful perceptions, the thing which Made it possible to

المؤلف المرسل: كمال بخوش kamel.bekhouche@yahoo.fr

go beyond the interpretation of familiar rhetorical formats, to unfamiliar rhetorical ones. This last is based on the imaginary construction by creating meaningful and not formal structures among which we find the metaphorical construction. In this research, we focus on the cognitive background of the topic and its communicative role. So, what is the metaphorical construction from a linguistic cognitive view? And what are its effective limits as non formal statement?

Keywords: language, discourse, pragmatics, cognitive linguistics.

*** **

مقدمة :

إنَّ التحوُّلَ الذي شهده الدرس اللِّساني في نهاية القرن العشرين و بداية القرن الواحد و العشرين، تمثَّل في الالتفات لقضايا الاستعمال (المنجز التداولي) في مقابل قضايا الشكل (المنجز البنوي الذي أخذ الحيَز الأكبر من البحث والنقاش) ، و هو الالتفات الذي سمح للبحث اللساني المعاصر - بالاستناد إلى أدوات منهجيَّة ومعرفةٍ مختلفة - أن يعيد للواجهة الكثير من القضايا اللغوية التراثية التي عرفت نقاشا ثريا، سواء في التقاليد الأرسطية ، أو في المنجز التراثي العربي على حدِّ سواء ، وإنَّ كان هذا البعثُ قد غطى كل القضايا اللغوية تقريبا، فإنَّ قضايا المجاز منه أخذت الحيَز الأهم، كونُها من المسائل الشائكة التي تعددت فيها الطروحات و اختلفت فيها الرؤى فكريا و فلسفيا.

و من المؤكد أن المساهمات اللسانية المعرفيَّة ^(١) التي تروم من الذهن البشري مركزا للنقاش و موضعا للتساؤل ، مثلت الركيزة الأساسية في البحث اللساني المعاصر ، كونها تهدف إلى مقارنة المسائل اللغوية - ليس من خلال البنى المحقَّقة - وإنَّما بتركيز النظر إلى الآليات المولدة لها وكيفية اشتغالها ، و هو السياق الذي يأتي فيه هذا البحث بالتطرق إلى مسألة البناء الاستعاري في اللغة - بما هو بناء ذهني- وكذا آلياته

المعرفيّة وضروراته التبليغيّة ، متكئين في ذلك على بعض مقولات المنجز اللساني المعرفيّ ، ومسيّجين هذه الورقة البحثية بالتساؤلات التالية : ما هو البناء الاستعاري من المنظور اللساني المعرفيّ؟ وما هي حدوده الإنجازية وكفاياته التبليغيّة ؟ .

1- اللسانيات المعرفيّة وتجاوز الرؤية النمطيّة للغة.

إنّ الطرح اللساني - خصوصا ما بعد التداولي منه- ركّز الاهتمام على القدرة المعرفيّة التي يمتلكها الإنسان، و هو الطرح الذي تجاوز الرؤية النمطية للغة التي بقيت رهينة الشكل مدة طويلة، إلى الرؤية المعرفيّة التي حاولت أن تقارب مسألة اللُّغة بما هي نشاط ذهني يتميّز بالحركية الدائمة والمستمرة، ومن هنا كان النظر إلى اللغة "نظرة حركية من حيث هي شيء يفعله الناس بدلا أن تكون شيئا يملكونه (...). فيمكن على هذا أن يوصف الكلام بأنّه نشاط معرفي متجذر اجتماعيا وثقافيا"⁽²⁾. هذا من زاوية ومن زاوية أخرى فلقد خلص البحث في اللغة بالاتكاء على مخرجات علم النفس المعرفيّ إلى أنّ البناء اللغوي على مستوى الذهن في تراسل متواز مع بناء العالم المادي المعبر عنه، فالعمل الذهني الذي يقوم به منتج الخطاب لبناء أنساق تعبيرية تتسق مع وضعيات تواصلية خاصة ومحدّدة ، هو عمل في تراسل مع بناء الواقع و تمثلاته المُمكنة، فاللغة - حسب تصور جورج لايفكوف - " في تقابل مع عالم معيّن مبني بناء موضوعيا بما هي تمثيل للواقع . ومن وجهة النظر الموضوعية هذه، يتضمن كل تفكير موضوعي إدارة لجملّة من الرموز المجرّدة التي لا تكتسب معنى إلا عبر تقابلاتها المتواضع عليها مع الأشياء في العالم الخارجي"⁽³⁾

إنّ شكل الأبنية اللغوية (الأشكال التعبيرية) تعكس تمثّل الفرد للوجود الذي يعبر عنه و حدوده الممكنة، فكيفية انّبناء اللغة في ذهن الفرد تعكس كيفية تصوّره لهذا الواقع بكل تعقيداته، لذا فإنّ الممارسة اللغوية تمثّل تجريدا للعالم المعبر عنه وتجسيدا له بترميز خاص . في هذا السياق يذهب المعرفيّ رونالد لانفاكر (Ronald

(Langacker) في كتابه الموسوم بـ (مدخل في النحو العرفي) إلى أن النحو "يعكس تجربتنا الأساسية في التنقل في المكان و في الإدراك و في الفعل في العالم" (4)، وهو ما يعني ضرورة التركيز في النظر إلى البنى اللغوية وفقا لتراسلاتها مع أبنية الواقع المعبر عنه بواسطتها .

2- البناء الاستعاري وتشكّل المقولات (5).

لقد رعى النظر في البحث اللساني المعاصر- وفق ما أسلفنا الطرح في النقطة السابقة- في أن " اللغة تشير إلى تصورات أكثر من إشارتها إلى حقائق ملموسة، وأن صلة المعاني بالتصورات والأفكار أقوى من صلتها بالكلمات و الأشياء المادية " (6) .

و كما هو معروف ، فإنّ البناء الاستعاري في اللغة يتأسس على خلق نسق تصوّري غير مألوف، وهذا بالتأليف ذهنيًا بين بنيتين تبدو بينهما مسافة معتبرة في الواقع المادي، لذا فالاستعارة " عملية ترتبط بالفكر الإنساني ، و ليست مسألة كلمات فقط مثلما قدمتها التقاليد الأرسطية، (...) حيث لا يمكننا النظر إليها على أساس أنّها مجاز فائض ذو قيمة تزيينية ولكن كأداة عرفانية " (7). وهذا ما يطرح التساؤل عن دور البناء الاستعاري و أهميته في بناء المعاني و توليدها.

إنّ للمجاز (8) - بصفة عامة - والبناء الاستعاري منه على وجه الخصوص دور هام في بناء المقولات وتشكيل تصوراتنا للعالم ، خاصة و أننا إذا تبينّا الطرح اللساني / الفلسفي الذي يقول بأنّ كل التصورات التي يمتلكها الفرد عن الوجود هي تصورات لغوية في الأساس، و أنّ الفرد لا يمكن له أن يدرك العالم الذي يعيش فيه إلا وفقا للكيفية التي تمحّنها إياه اللغة . هذا يعني أنّ الكائن الآدمي و هو يبلور تصوراتهِ يصبح رهينا للأبنية الذهنية التي تسيج رؤيته للعالم . يقول رونالد لانفاكر (Ronald Langacker) في سياق حديثه عن الأبنية الذهنية إنها هي " التي تمكّنا من التعامل مع العالم الذي نعيش فيه و نتحدث عنه ، و هي تكونه إلى حد كبير ، إنّه لعالم ذو ثراء غير عادي يمتدّ

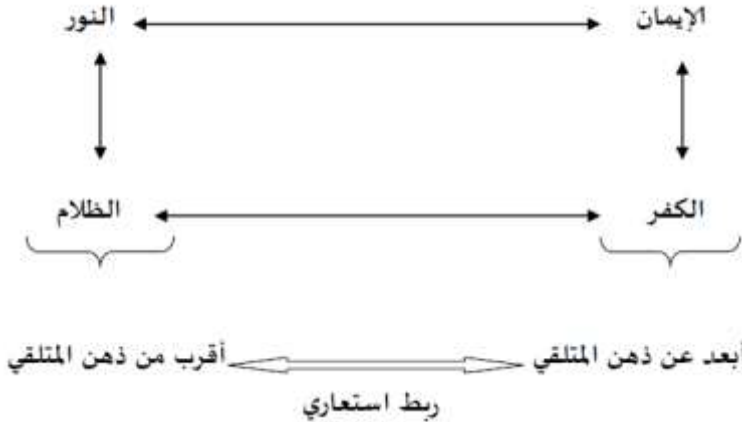
بعيدا إلى ما يجاوز الواقع المادي الذي يتجذرفيه" (9) فرؤية الفرد للواقع لا تخرج عن الأطر التي ترسم حدودها اللغة.

لذا فإن الرؤية الجديدة للمقولة الاستعارية ، من منظور اللسانيات المعرفية تتجاوز الرؤية التقليدية التي تحدّد المقولة على أساس الخصائص المشتركة بين أفراد المجموعة اللغوية الواحدة إلى الرؤية التي ترى أنّ الآليات التخيلية - تمثل آلية مركزية في بناء أنساقها التصويرية ، و هو ما يعكس رؤية منضّدة مختلفة للعالم (10) فالبناء الاستعاري في اللغة يمكن من بناء نسق تصوري جديد غير مألوف ، و هو ما يمكن توضيحه بالمثال التالي:

مثال 1 :

قال تعالى : (اَللّٰهُ وَلِىُّ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا اَوْلِيَآؤُهُمُ الظُّلُمٰتُ يُخْرِجُوْنَهُمْ مِّنَ النُّوْرِ اِلَى الظُّلُمٰتِ اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ) [البقرة / 257].

إنّ الربط بين المجردات و الماديات في هذه الآية الكريمة من سورة البقرة على سبيل الاستعارة (استعارة النور للإيمان، و استعارة الظلمات للكفر) (11)، له دور مهم في إعادة بناء تصور المتلقي أو التعديل في تصوراته و موقفه من قضيتي الكفر والإيمان، وهذا يربطهما بمشاهدين أكثر مقبولية و قربا في تمثالاته ، فالمسألة الإشكالية هنا ، هي مسألة الكفر في مقابل مسألة الإيمان، و هما مسألتان يمكن وصفهما بالبعد عن معهود المتلقي ومألوفه ، لذا فقد تمّ تقريبهما - يربطهما بما يمكن وصفه بتصورات الفرد المألوفه ، و هي مسألة النور و الظلام . و هذا ما ذهب إليه الطاهر بن عاشور في تفسير التحرير و التنوير بالقول : "...وجعل النور و الظلمات تشبيها للإيمان والكفر، لما علمت من ظهور المعنى" (12) .



فالأبنية الاستعارية تقوم على ربط التصور الأبعد بالتصور الأقرب ، كما أنها لا تتميز بالجمود، بل هي في حركية و تكوثر دائم و مستمر وفقا لمنطق التداعي، إذ أن الخطاب : " ليس مجرد سلسلة من الكلمات أو المركبات الجمالية أو الجمل ، هو كذلك – وبصفة أساسية- سلسلة من التصورات المقترنة بتلك الأشكال ، وليست تلك التصورات معزولة متفاصلة ، بل على عكس ذلك تنبثق الواحدة منها من سابقتها وتتطور منها ، بوجه تتشكل فيه بتقديم الخطاب بنية مفهومية ذات تركيب متزايد على التدرج" ⁽¹³⁾ وهذا يعني أن الفرد قد ينطلق في بناء تصوراتهِ من معطيات قاعدية مباشرة لبناء معاني محدّدة يروم تبليغها وينتهي الأمر به إلى الفضاء التخيلي الذي يولّد من خلاله التعابير الاستعارية المحقّقة لمقاصده التبليغية وفقا للمقامات التواصلية المختلفة.

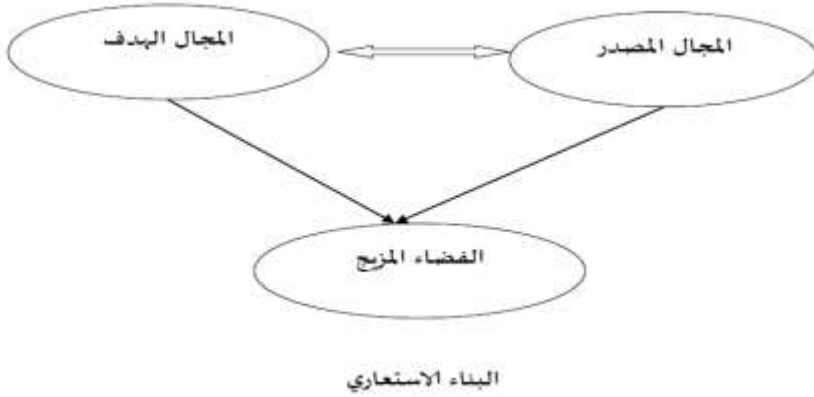
3- البناء الاستعاري هو خلق للمعنى :

يتميّز الإنسان في بناء تصوراتهِ الذهنية بالقدرة على توظيف إمكانيته التخيلية التي تسمح له ببناء المعاني وفقا لما تسمح به أشكال النماذج و المُثل للغوية التي تسيّجها داخل أطرها النمطية، وهي التصورات التي تخضع في الغالب لمنطق التداعي حسب تصور

رونالد لانفاكر ، حيث " تقود التصورات بعضها إلى بعض، فإن فكرت في حرف [أ]
يحتمل أن تفكر في الحرف [ب] ، وهذا يسهل إنشاء الحرف [ج] وهو بدوره يؤدي إلى [د] ، وهكذا دواليك . فيمكن أن يؤدي تصوّر إلى آخر يحكم ترابط قائم بينهما كما هو قائم في الأبجدية، أو بفضل إنشاء الظروف المهيئة لانبثاقه" (14) .

إنّ من بين المسائل اللافتة للانتباه في مسألة الاستعارة ، هو أن فعل الربط الذي تحققه الاستعارة يتجاوز البنية اللغوية إلى بنية الواقع حيث يمكنها أن " تربط بين الأشياء في العالم من خلال القياس (L'analogie) والتمثيل (La représentation)، (...) فالاستعارة بهذا المعنى هي الجمع بين أشياء لا تتطابق في الواقع ولكنها تجد في إحالتها ومعناها في عوالم أخرى ممكنة . فهذا الرابط بين التطابق وعدمه أو بين الضروري والممكن هو الشيء الذي خلقته الاستعارة وتميّزت به " (15) .

و الربط في البناء الاستعاري يكون بين مجالين يفترض أنهما متباعدان، يسمى الأول في أدبيات الدرس اللساني التداولي بمجال المصدر ، و يسمى الثاني بمجال الهدف. يقول إزابيل أوليفيرا في مقاله الموسوم بـ: الاستعارة الاصطلاحية من وجهة نظر عرفانية ، يقول : " إنّه من الضروري التمييز بين مفهومين مفتاحين هما : المجال المصدر والمجال الهدف (...)، وهكذا تستند الاستعارة على تخطيط هو عبارة عن عملية إنشاء المراسلات بين المجال المصدر (المفاهيم المألوفة) و المجال الهدف (المفاهيم غير المعروفة) (...) [أي] ربط الخبرات المعروفة في مجال معين من المعرفة بخبرات جديدة قيد التحقيق " (16) ، و هو ما يترتب أنه فضاء تصوري ثالث يسمى بالفضاء المزيج وهذا ما يمكن توضيحه بالمخطط التالي:



إنَّ فعل الربط بين مجالين متباعدين (أو يبدوان على الأقل متباعدين) ، ينتج عنه الفضاء المزيج ، و هو البناء الاستعاري الذي يمثل تصورا مفهوميا جديدا له القدرة على تحقيق قيمة إنجازية مائزة في فعل التبليغ ، و هذا بالعمل على إعادة تشكيل تمثلات الفرد- المتلقي للخطاب - للعالم على نحو غير مألوف لديه. لأنها تحقق "تفاعل حقلين دلاليين في الملفوظ، يكون أحدهما بؤرة الصورة والثاني إطارها، وينشئ مثل هذا التفاعل كائنا مفهوميا غير معهود"¹⁷. و لنأخذ المثال التالي:

مثال 2 :

قال تعالى: (وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَا حَ ۖ وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) [الأعراف 154] .

في هذه الآية الكريمة تشبيه للغضب بالكائن الحي و هو ما دلّت عليه كلمة (سكتَ) ، و هو تصوير المعنوي و متعلقاته (الغضب) بواسطة الكائن الآدمي و متعلقاته (الإنسان) ، فكانت استعارة السكوت من الإنسان إلى الغضب . و في هذا تجلية للمشهد و تجسيد دقيق له ، بما يمكن تمثله بسهولة و يسر من طرف متلقي الخطاب . يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره لهذه الآية : " و السكوت مستعار لذهاب الغضب عنه (...) و حسن

هذا التشبيه، أن الغضببان يجيش في نفسه حديث للنفس يدفعه إلى أفعال يطفئ بها ثوران غضبه ، فإذا سكن غضبه و هدأت نفسه كان ذلك بمنزلة السكوت...¹⁸ ، و هو تصوير استعاري أقرب للتمثّل و أقرب للفهم بناء على الربط بن التصورات المجردة و إخراجها في صورة مادية.

4- البناء الاستعاري و فعل التبليغ.

بعد ظهور نظرية أفعال الكلام بداية من ستينيات القرن الماضي ، تحوّل النظر إلى اللغة من النظرة الوصفية إلى النظرية الإنجازية ، ومن ثم أصبح الحديث عن فعل التبليغ المسألة المركزية في البحث اللساني التداولي ، لا سيّما المعرفي منه .

وبصورة اتفاقية، فإنّ للبناء الاستعاري دورا هاما في تشكيل المعنى ورسم حدوده بحسب ما يقتضيه موقف التواصل، إذ إنّ للاستعارة فعالية كبيرة في تسيج المتلقي ورسم تصوراته على نحو معين، وهو ما يعني أن فهمه للمعنى يكون رهين البناء المفهومي الذي شكّل له، شريطة أن يشترك كلا من المتكلم والمتلقي في نفس الأرضية المفهومية التي يتأسس عليها الخطاب. جاء في القاموس الموسوعي للتداولية " إنّ التواصل لغويا كان أو غير لغوي ، لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان قائما على الاعتقادات الخلفية المشتركة بين المتكلم و مخاطبه، فوجود مثل هذه الفرضيات يعتبر ضرورة للتواصل ، و بدونها لا يمكن أن يكون التواصل ممكنا، لأنّ انعدامها يستوجب صياغة صريحة للمعلومات الخلفية الخفية وراء الأقوال المنجزة⁽¹⁹⁾ .

فالتعابير المجازية غالبا ما تكون قيمتها العملية الإنجازية و مردودها التبليغي أكبر من التعابير العادية، إذ " الأسلوب الاستعاري هو من أقدر الأساليب التعبيرية و أقواها في توليد المعاني و تفريعها ، ذلك إنّ فهم الاستعارة و تأويلها لا يرتكز على المعنى الأصلي المأخوذ مباشرة من اللفظ، وإنما من المعنى المقترض من المعنى الأول⁽²⁰⁾ .

و هنا يمكن أن نشير إلى الفعالية الحجاجية الكبيرة التي تتميز بها الاستعارة والمتمثلة في التأثير في الأذهان و الأفهام، و ذلك ببناء مسألة مختلف فيها بين طرفي الخطاب على مسألة متفق عليها بين الطرفين . و لنأخذ المثال التالي :

مثال 3 :

قال تعالى : (أَفَمَنْ أَشَسَ بُنْيَنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَشَسَ بُنْيَنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [التوبة / 109]

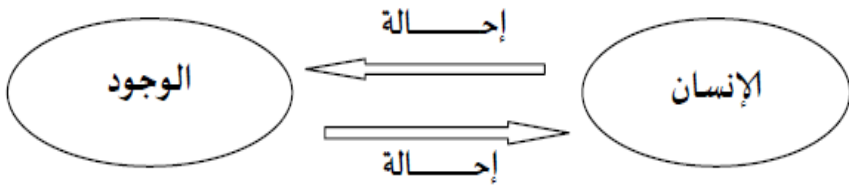
في هذه الآية الكريمة استعارة تمثيلية ، حيث ضرب الله مثلا للمؤمن و المنافق، فشبه المؤمن كمن أسس بنيانا متينا قويا ، و شبه المنافق كمن أسس بنيانه على طرف واد متصدع ، و هو موشك على الانهيار في أية لحظة ، وحالة التراسل بين المشهدين هو الثبات و النجاة في الحالة الأولى و هي حالة المؤمن ، و التصدع والهلاك في الحالة الثانية التي هي حالة المنافق (21) . وهي صورة حجاجية تهدف إلى تسييج المتلقي و وضعه أمام مشهد كلي مؤثب بصور المآلات التي ينتهي إليها كل خيار.

5- البناء الاستعاري كفعل إحالي :

تتوجه مخرجات البحث اللساني التداولي إلى أَنَّ اللغة تؤدي دورا إحاليا بين الإنسان والوجود الذي يحيا فيه ، إذ إنَّ الكائن الأدمي وهو يبني تمثلاته ويؤلف أنساقه الدالة لا يمكن له أن يكشف عنها إلا بالتحقيق الإحالي الذي تؤديه اللغة ، وهذا بإحالة التمثلات التي تنبني في ذهن الإنسان إلى خارج الذهن (إلى المتلقي العيني أو المفترض) . فاللغة هي الوساطة بين الإنسان والعالم الذي يحيا فيه . يقول جاك موشلر (Jacques Moeschler) "...إنَّ وظيفة اللغة الأساسية إنَّما هي التعيين و أنَّ دراسة هذه (الوظيفة التعيينية) هي أحد أغراض اللسانيات المركزية في معناها الدقيق (الصوتية والتركيب وعلم الدلالة) ، ولئن لم يكن للشك مجال في أن إحدى وظائف اللغة الأساسية إنَّما هي

التعيين والإحالة، فإنه ليس بالوسع نفي كون الإحالة باعتبارها العلاقة بين اللغة والواقع" (22) ، ولذلك فالإحالة من المنظور التداولي (خلافا لمفهوم الإحالة من المنظور النصي) تعتبر أهم قيمة وظيفية للغة لما تحقّقه من تعالق بن الإنسان و العالم، و إذا أسقطنا هذه المسألة على البنية الاستعارية نجدها لا تخرج عن هذا الإطار ، إذ إن البنية الاستعارية هي بنية إحالية في ذاتها على معنى جديد غير مألوف محقق أو ممكن التحقيق ، ولأجل هذا الفعل الإحالي كان البناء الاستعاري .

تقول يسر هبيل في كتابها المميّز الموسوم بـ: الإحالة بين اللغة و الخطاب: "...الإحالة في الاستعارة لا تكون إلا بإعمال العقل و بترجيح المعنى وذلك من خلال القول بازدواجية المرجع لازدواجية العوالم ، فالمستمع (المتقبل) يصل إلى الإحالة من خلال إعادة توزيع العلاقات بين العوالم، فيعيد المرجع الحقيقي المستمد من المستعار منه إلى عالم الواقع ، ويعيد المرجع النفسي القائم على الاستدلال إلى عالم الإمكان و يحاول أن يجد جامعا بينهما" (23) . و يمكن بسط التعالق بين الإنسان و الوجود الذي يحيا فيه إحاليا بالخطط التالي:



فالكائن الآدمي حين يبني تصوراتهِ الخاصة بخلق أنساق دالة تحيل على معاني محدّدة (بناء استعاري) ، إنما هو بذلك يحيل المتلقي على المعاني الجديدة المضمّنة في الأبنية اللغوية الجديدة، فالإنسان " لا يتكلّم إلا و في ذهنه فكرة ما، و هذه الفكرة تستوجب منه أن يمثّل لها بصور معينة، وعلى المخاطب أن يكون قادرا على إرساء مقارنة بين الصور التي تمثلها هو في ذهنه عندما سمع الخطاب ، فعندما تتقارب تلك الصوّر)

التمثل الذي في ذهن البّاث و التمثل الذي في ذهن المتقبل (تتم العملية الخطابية على أحسن وجه و تحصل الفائدة ، و عندما تتباعد تلك الصّور و لا تجد نقاط تشابه بينها يحصل الالتباس والغموض " (24) ، و هو ما يعني فشل فعل التبليغ.

6- الاستعارة و ضرورة المعرفة الموسوعية:

لكي تحقق البنية الاستعارية قيمة تبليغة مائزة ، يجب أن تنكئ على المعرفة المشتركة للعالم داخل الجماعة اللغوية والثقافية الواحدة ، لأنّ : " الاستعارة والبناء الذهني للغة في ذاته متجذر في التفاعل الاجتماعي وفي المواقف الثقافية المختلفة، فعمليات الأمثلة والاستعارات ذات الاستعمال الشائع في التفكير في اللغة و في الكلام عنها، جزء من المعرفة الثقافية التي تُتناقل تناقلا اجتماعيا " (25) بحسب تعبير رونالد لانكاكر . إنّ من الشروط التداولية للتواصل هو وجود أرضية مشتركة يتأسس عليها الخطاب ، و تمثل سندا مهما لفعل التأويل كونها تمثل أحد عناصر المقام المهمة و هذه الأرضية المشتركة هي " السياق الاجتماعي الذي يوجد فيه كل من المتكلم والمخاطب ، (...) فالمعرفة الجماعية سواء بين شخصين أو أكثر هي المؤسّسة للتواصل " (26) حيث أنّ المفردات لا تمثل حزما من المعاني معلبة تعليبا متقنا (وجهة النظر القاموسية)، ولكنها تستخدم بوصفها نقاط دخول أو (منافذ) إلى مستودعات شاسعة من المعرفة المتصلة بتصور معين، أو مجال مفهومي معين بحسب تعبير فيفيان إفانز (27) ، و هنا من المهم الإشارة إلى أنّ : " العالم الذي نبنيه في نهاية المطاف متجذر في تجربتنا من حيث نحن مخلوقات ذات أجساد تتفاعل مع ما يحيط بها من خلال عمليات مادية تشمل النشاط الحسي و الحركي . يعرف ذلك في اللسانيات العرفنية بالجسدنة " (28) .

فالأشياء التي بالإمكان تمثيلها و تصوّرها مستمدة أساسا من التجربة الجسدية، و من ثمّ تصبح تصوراتنا التي نبنيها نابعة أساسا من تجاربنا في مرحلة أولى ، ثم من خلال التأليف بين ما توفر لدينا من معطيات سابقة في مرحلة ثانية ، يقول رونالد لانكاكر : " ورغم أنّ المفهمة ظاهرة ذهنية ، فهي متجذرة في الواقع المادي : هي عبارة عن نشاط

للدماغ الذي يشتغل جزءا لا يتجزأ من الجسد الذي يشتغل بدوره جزءا لا يتجزأ من العالم . والمعاني اللغوية متجذرة كذلك في التفاعل الاجتماعي من حيث هي نتاج للمحاورات بين المتحادثين على أساس التحديد الجماعي لمعارفهم وأفكارهم ونواياهم " (29) وهو ما يعني مرة أخرى ارتباط بنية اللغة ببنية الواقع الذي تصفه.

7- خاتمة :

بعد هذا البسط المركّز لمسألة البناء الاستعاري و أبعادة التداولية من منظور معرفي نخلص إلى النتائج التي نصوغها مركزة في النقاط التالية :

- إنّ البناء الاستعاري هو انعكاس لقدرة الذهن على خلق التصورات الدّالة.
- إنّ البناء الاستعاري هو بناء لمعاني جديدة أو توسيع لمعاني قديمة.
- إنّ للبناء الاستعاري قيمة تبليغية مائزة في المواقف التواصلية المختلفة
- يمكن أن يلعب البناء الاستعاري دورا حجاجيا ، بالربط دلاليا بين معطيات مألوقة لإضفاء المعقولية على معطيات غير ملوفة.
- البناء الاستعاري ليس قيمة تزيينية في ذاته ، بقدر ما هو قيمة تبليغية.
- إنّ للبناء الاستعاري قيمة إحالية على واقع حقيقي أو واقع مفترض .
- إنّ البناء الاستعاري لا يحقق القيمة التبليغية المرجوة إلا داخل إطار مؤسساتي تضمه المعرفة الموسوعية للعالم.

مراجع ومصادر البحث:

- رونالد لانقاكر ، مدخل في النحو العرفي ، ترجمة الأزهر الزناد معهد تونس للترجمة (تونس) ، ط1 2018 .
- جورج لاكوف ، نساء و نار و أشياء خطيرة : ما تكشفه المقولات حول الذهن ، تر: عفاف موقو (ضمن اطلالات على النظريات اللسانية و الدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين) إشراف عز الدين المجذوب ، بيت الحكمة تونس (2012) .
- فيفيان إفانز ، و ميلاني جرين ، ما هو علم الدلالة الإدراكي ؟ تر : أحمد الشيعي (ضمن مجلة فصول / عدد خاص بالإدراكيات) ، المجلد 4/ 25 (2017) .

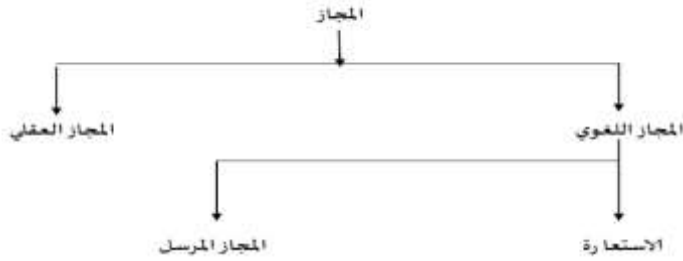
- إيزابيل أوليفيرا ، الاستعارة الاصطلاحية من وجهة نظر عرفانية ، تر : حسن دواس (ضمن مجلة فصول / عدد خاص بالإدراكيات) ، المجلد 25 / 4 (2017) .
- يسر هبيل ، الإحالة بين اللغة و الخطاب ، الدار التونسية للكتاب (2017) .
- جاك موشر و آن ريبول ، القاموس الموسوعي للتداولية ، ترجمة : عز الدين المجذوب وآخرون ، المركز الوطني للترجمة (تونس) ، ط1 (2010).
- باتريك شارودو، دومنيك منغنو ، معجم تحليل الخطاب ، تر : حمادي صمود و عبد القادر المهييري ، المركز الوطني للترجمة (تونس).
- حسن المودن ، حجاجية المجاز والاستعارة (ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته) ، إعداد و تقديم حافظ إسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديث (الأردن) 2010 .
- بن عيسى بالطاهر ، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات ، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1 (2008) .
- الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير و التنوير ، دار سحنون للنشر و التوزيع (د.ت) ،

هوامش البحث :

- 1- اللسانيات المعرفية ('linguistique Cognitive ') ، مصطلح تعددت ترجماته في الحقلين اللساني و النقدي العربيين ، فنجد اللسانيات العرفنية ، اللسانيات العرفانية ، اللسانيات الإدراكية ، و اللسانيات المعرفية ، وقد اعتمدنا مصطلح اللسانيات المعرفية ، لذيوعه و شيوعه و تبنيه مغاربا ، مع الإبقاء على بقية المصطلحات المرادفة له قدر الإمكان كما وردت داخل النصوص المقتبسة .
- 2 - رونالد لانفاكر ، مدخل في النحو العرفي ، ترجمة الأهر الزناد معهد تونس للترجمة (تونس) ، ط1 2018 ، ص 353-354.
- 3 - جورج لايكوف ، نساء و نار و أشياء خطيرة : ما تكشفه المقولات حول الذهن ، تر: عفاف موقو (ضمن اطلاعات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين) إشراف عز الدين المجذوب ، بيت الحكمة تونس (2012) ، ج1 ص 323.
- 4 - رونالد لانفاكر ، مدخل في النحو العرفي، ص 19.
- 5 - مفهوم المقولة: تقوم المقولة Catégorisation على مبدأ التشابه والتقارب و الاتصال بين الأشياء المدركة ، فالمدرجات حسية كانت أم عقلية يمكن أن تجتمع في مقولة تصنيفية واحدة انطلاقا من مدى مشابهاها بالطراز Prototype ، فطراز مقولة ما هو العنصر الأكثر تواترا بين الأفراد ، للتوسع أكثر ينظر: يسر هبيل ، الإحالة بين اللغة و الخطاب ، الدار التونسية للكتاب (2017) ، ص 307

البناء الاستعاري بين قيود اللغة وضرورات التداول: قراءة ...

- 6 - ينظر مقال : فيفيان إفانز ، وميلاني جرين ، ما هو علم الدلالة الإدراكي ؟ تر: أحمد الشبيبي (ضمن مجلة فصول / عدد خاص بالإدراكيات) ، المجلد 4/ 25 (2017) ، ص 78
- 7 - إيزابيل أوليفيرا ، الاستعارة الاصطلاحية من وجهة نظر عرفانية ، تر: حسن دواس (ضمن مجلة فصول / عدد خاص بالإدراكيات) ، المجلد 4/ 25 (2017) ، ص 123 - 124
- 8 - يمكن تلخيص فكرة المجاز وفقا لما ورد في المنجزات البلاغية بالمخطط التالي :



- 9 - رونالد لانفاكر ، مدخل في النحو العرفي ، ص 19.
- 10 - جورج لايفكوف ، نساء و نارو أشياء خطيرة : ما تكشفه المقولات حول الذهن ، ص 322.
- 11 - ينظر بن عيسى بالطاهر ، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط 1 (2008) ، ص 258
- 12 - الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع (د.ت) ، ج 5 ص 30.
- 13 - رونالد لانفاكر ، مدخل في النحو العرفي ، ص 793-794.
- 14 - رونالد لانفاكر ، مدخل في النحو العرفي ، ص 820.
- 15 - يسرهبيّل ، الإحالة بين اللغة والخطاب ، الدار التونسية للكتاب (2017) ، ص 109.
- 16 - إيزابيل أوليفيرا ، الاستعارة الاصطلاحية من وجهة نظر عرفانية ، ص 125
- 17 - باتريك شارودو ، دومنيك منغنو ، معجم تحليل الخطاب ، تر: حمادي صمود و عبد القادر المهيبي ، المركز الوطني للترجمة (تونس) ص 365.
- 18 - الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والتنوير ، ج 9 ، ص 122.
- 19 - جاك موشلرو آن ريبول ، القاموس الموسوعي للتداولية ، ترجمة : عز الدين المجذوب وآخرون ، المركز الوطني للترجمة (تونس) ، ط 2 (2010) ، ص 249.
- 20 - يسرهبيّل ، الإحالة بين اللغة والخطاب ، ص 111.
- 21 - ينظر بن عيسى بالطاهر ، البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات ، ص 263.
- 22 - جاك موشلرو آن ريبول ، القاموس الموسوعي للتداولية ، ص 159 .
- 23 - يسرهبيّل ، الإحالة بين اللغة والخطاب ، ص 111.

- 24 - يسرهبيّل ، الإحالة بين اللغة والخطاب ، ص 55.
- 25 - رونالد لانقاكر، مدخل في النحو العرفي، ص 357..
- 26- يسرهبيّل ، الإحالة بين اللغة والخطاب ، ص 53
- 27 - فيفيان إفانز ، وميلاني جرين ، ما هو علم الدلالة الإدراكي ؟ ، ص 82.
- 28 - رونالد لانقاكر، مدخل في النحو العرفي ، ص ص 856- 857
- 29 - رونالد لانقاكر، مدخل في النحو العرفي ، ص 18.